أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

دراسة

الحرب الروسية الأوكرانية
إشكالية تغيير المنظورات الأمنية والعسكرية والاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط

إعداد: د. محمد عصام لعروسي

تشرين الأول /أكتوبر 2023
dimensioncenter.net

مركز تفكير يُعنى بدراسة شؤون منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ويُقدّم للقارئ العربي رؤية موضوعية لشؤون المنطقة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
ويسعى المركز إلى تقديم محتوى يخاطب المختصين والمهتمين، بلغة بعيدة عن لغة الخبراء والفنيين والأكاديميين، وبتكثيف يتناسب مع متطلبات العصر الحديث، وما يستلزمه من إيجاز يُلبي احتياجات الباحثين والقراء.

www.dimensionscenter.net

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز أبعاد للدراسات الاستراتيجية — ©2023
info@dimensionscenter.net

جدول المحتويات

ملخّص: 04
المقدِّمة: 08
إشكالية الدراسة وأهميتها: 09
فرضيات الدراسة: 10
منهجية البحث: 11
أولاً: تحوُّل المنظورات السياسية وتشكيل أنساق جديدة: 12
ثانياً: المعادلة الروسية والنفوذ المحدود في الشرق الأوسط: 17
ثالثاً: التداعيات الأمنية والجيوسياسية: 19
رابعاً: التداعيات الاقتصادية: 22
خامساً: هل تستفيد دول الشرق الأوسط من نظام متعدِّد الأقطاب؟ 26
سادساً: السياسات الوقائية والبدائل المحتملة واستنتاجات: 28
خاتمة: 30

ملخص

كرّست الحرب الروسية الأوكرانية تدويل تداعيات الأزمة لتشمل نطاقات جغرافية متباعدة عن القارة الأوروبية التي تدور فيها رَحَى الحرب بين روسيا وأوكرانيا والغرب بشكل عامّ، حيث ما زالت الحرب تخلّف انعكاسات معقَّدة على العديد من مناطق العالم، ذلك أن التأثيرات الجيوسياسية والأمنية والعسكرية والاقتصادية المتوسطة والبعيدة المدى، أصبحت أمراً واقعاً يمكن معاينتها في جميع المناطق، وخاصة الدول النامية منها.

في ظلّ هذه الحرب التي قاربت السنتين تقريباً، وبعد الأزمة الصحية العالمية لفيروس كورونا، شهدت منطقة الشرق الأوسط تحوُّلات جوهرية ومتسارعة على مستوى البنيات الأمنية والتحالفات السياسية وتغييرات في أداء النسق الأمني الذي تم اعتماده منذ بداية القرن العشرين والقائم على الوصاية الأمريكية والبريطانية، وبداية التفكير في تبنِّي سياسات سيادية ذات استقلالية أكبر عن الدول المؤثرة في المنطقة، ومحاولة الدول الرئيسية في المنطقة تكييف قدراتها الذاتية مع المشهد الدولي المتغير مع نهج سياسة تنويع الشركاء الإقليميين والدوليين.

إن الانسحاب الأمريكي النسبي من منطقة الشرق الأوسط -رغم أن الإدارة الأمريكية الحالية ليس لديها الرغبة في الانسحاب مثلاً من العراق باعتباره إحدى أوراق الضغط على إيران وربطه بتطوُّرات المباحثات الجارية في فيينا لإحياء خطة العمل المشترك (الاتفاق النووي)- وتراجُع الدور الأمريكي خاصة في إيجاد حلول للأزمات السورية واليمنية والليبية، دفع بدول منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا إلى إيجاد طريقة للتكيف مع التوازُنات الأمنية الحالية، من خلال الدفاع عن حدودها وسياداتها وملء الفراغ الذي نتج عن تراجُع الوصاية الأمريكية.

تحاول دول منطقة الشرق الأوسط التركيز على بناء الضمانات الأمنية والعسكرية على أساس رؤية لعالم متعدِّد الأقطاب من خلال الانصهار مع تحالُفات جديدة، والشراكة مع لاعبين دوليين آخرين مثل الصين وروسيا، الوافدين حديثاً على المنطقة العربية، وتهدف دول المنطقة بذلك إلى تنويع شركائها من خلال تعويض دور الفاعل الأمريكي باعتباره الحامي الأكبر للمنطقة والمرتبط باتفاقات أمنية مع العديد من الدول، كدول الخليج، حيث تم بموجبها إنشاء العديد من القواعد العسكرية الأمريكية في المنطقة لحشد كافة القدرات العربية والخليجية للتصدي للعدوان الإيراني.

تستهدف الورقة تحليل تأثير وتداعيات الحرب الروسية الأوكرانية على منطقة الشرق الأوسط، بما في ذلك الإجابة عن فرضية استفادة المنطقة من عالم متعدِّد الأقطاب في طَوْر التشكل {Multipolarity} بناءً على تغيُّر- موازين القُوى الدولية والإقليمية، ويتناول هذا التحليل المتغيرات الرئيسية والفرعية التي تُسهم في تغيير سياسات الدول الأكثر أهمية في المنطقة، بناءً على مُنطلَقات جديدة ومَقُولات تُنهي نسبياً الحالة الصدامية بين أطراف النظام الإقليمي والاعتماد على شراكات نوعية تستفيد منها كل الأطراف.

الكلمات المفتاحية:
الشرق الأوسط- المحاور الدولية— السياسات المستقلة- المتغيرات الرئيسية والثانوية- الفواعل الإقليمية- التحالفات الدولية- عالم متعدد الأقطاب- أنماط السلوك الخارجي- التداعيات العسكرية والأمنية والاقتصادية.

Summary

The Russian-Ukrainian war has internationalized the repercussions of the crisis to include geographical areas elsewhere the European continent, where the battles between Russia, Ukraine, and the West at large take place. The war continues to have complex ramifications on many regions of the world. The geopolitical, security, military, and economic impacts, both medium and long-term, have become a tangible reality that can be observed in all regions, especially in under developing countries.

In the light of this complicated war that's remains nearly two years and aftermath the COVID-19 crisis, the Middle East is undergoing rapid and significant changes. The region is re-evaluating its security and political alliances. since the early 20th century, many countries in the MENA region, have been influenced by U.S. and British political and security`s vision. There's a growing and significant move towards more independent policies, which these countries are trying to adapt to a shifting world order. This includes a strategy to diversify their partnerships, both regionally and globally.

While the U.S. is showing a relative withdrawal from the Middle East —— even though the current U.S. administration doesn't seem keen on pulling out from some countries like Iraq, seeing it as leverage against Iran and tied to the ongoing Vienna talks to revive the Joint Comprehensive Plan of Action (the nuclear deal) —— its diminished role, especially in resolving the Syrian, Yemeni, and Libyan crises, has prompted Middle Eastern and North African countries to adapt. They are finding ways to cope with the current security dynamics by defending their borders and sovereignty and filling the void left by the reduced American oversight.

Countries in the Middle East are recalibrating their security and military strategies, envisioning a multipolar world. They're forging ties with emerging global partners, notably China and Russia, who have recently increased their presence in the Arab region. The aim is to diversify alliances, especially given the diminishing role of the U.S., which had historically been the region's primary security guarantor. This past American involvement is evident in security agreements with nations like the Gulf states, where U.S. military bases were established to rally Arab and Gulf resources against potential Iranian threats.

This document aims to analyse the impacts of the Russo-Ukrainian war on the Middle East, addressing the hypothesis of the region benefiting from an emerging multipolar world order because of shifting global and regional power dynamics. The analysis delves into primary and secondary changes that influence the policies of the region's most pivotal countries. These new dynamics and principles are gradually ending confrontational stances among regional system stakeholders and are fostering quality partnerships that are mutually beneficial.

المقدِّمة:

لا شكّ أن تأثير الحرب الروسية الأوكرانية التي تدور رحاها في القارة الأوروبية، يتجاوز بشكل كبير البُعد الجغرافي باعتبار كون الصراع العسكري بين دولتين أوروبيتين، ليصل إلى تداعيات جيوسياسية وأمنية وعسكرية واقتصادية، تمتد إلى العديد من المناطق المختلفة في العالم، وتُعتبر منطقة الشرق الأوسط من الجغرافيات الحسّاسة التي شهدت -وتشهد- تحوُّلات أساسية على مستوى البنيات المركزية المتعلقة بالمدركات المتحولة والسياسات الجديدة لدول المنطقة، التي أصبحت تنحو في اتجاهات سياسية مختلفة، مقارنةً مع المراحل التاريخية السابقة، وأصبحت تتعاطى بشكل غير تقليدي مع التحالفات الدولية والإقليمية في منطقة الشرق الأوسط. مما يعكس أهمية التغيير الهيكلي والنسقي لمنظورات ومُقارَبات الأمن لدى دول المنطقة، وخاصة دول الخليج العربي في ظل التقارب مع روسيا والصين والعمل إلى التحوُّل نحو عالم متعدِّد الأقطاب، بدل البقاء تحت المظلّة الأمريكية.

ساهمت الحرب الروسية الأوكرانية، في تكريس انعكاس التحوُّل في طبيعة النظام الدولي على طبيعة النظام الإقليمي، حيث تنأى القوى الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية عن أزمات الشرق الأوسط وخاصة الأزمة السورية والأزمة اليمنية والليبية، ودفع دول المنطقة إلى مواجهة مصيرها والدفاع عن حدودها في مواجهة المخاطر والرهانات الحقيقية التي تواجهها، والاعتماد على آليات جديدة وأنماط مختلفة من التحالُفات مع فواعل دولية أخرى، كانت إلى عهد قريب لا تستطيع اختراق المنطقة العربية، على اعتبار أن واشنطن كانت تشكل الدرع الحامي والراعي الأول لدول المنطقة، وترتبط مع الدول الخليجية خاصة باتفاقيات أمنية، كما تقيم قواعد عسكرية في منطقة الخليج، وتحشد كل الإمكانيات العربية والخليجية لمواجهة التغوُّل الإيراني.

إشكالية الدراسة وأهميتها:

تكتسي إشكالية الورقة أهمية بالغة من الناحية البحثية، على اعتبار أن الحرب "الروسية- الأوكرانية" هي من أهمّ المتغيِّرات الرئيسية التي يشهدها العالم منذ ما يقارب السنتين، وهي واحدة من أبرز الأزمات الإقليمية والدولية التي يشهدها العالم بعد نهاية الحرب الباردة. تدور الإشكالية الرئيسية للدراسة حول تغيُّر المنظورات الأمنية في منطقة الشرق الأوسط نتيجة للحرب الروسية الأوكرانية، حيث تحاول الدراسة فَهْم التأثيرات المحتملة للحرب على سياسات دول المنطقة، وكيفية تعاطيها مع الأزمة واحتمال تغيير المحاور الدولية وتجديد دور الفواعل الإقليمية، وفَهْم وإدراك المتغيرات الرئيسية والثانوية التي تساهم في تغيير أنماط سلوك الدول الفاعلة في الإقليم وشكل سياساتها الخارجية وتحالفاتها الدولية، كما تحاول الورقة الوقوف على التداعيات السياسية، والعسكرية، والاقتصادية والجيوسياسية للحرب الروسية الأوكرانية على منطقة الشرق الأوسط، والبحث في البدائل الممكنة والمتاحة لهذه الدول التي ترتبط بالدول الغربية، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية باتفاقيات تقوض نسبياً مرتكزات الأمن في المنطقة مع استمرار وجود قواعد عسكرية ضخمة في منطقة الخليج العربي.

إن التقارب الخفيف والنسبي بين بعض دول المنطقة وإيران أو على الأقل تخفيض منسوب التوتُّر بينها وبين دول المنطقة، وكذا إعادة المشاورات والحوار مع تركيا والتعاطي بشكل إيجابي مع روسيا، يجعل من أهمّ مبرِّرات التعاون مع واشنطن معرضاً للتلاشي وضياع الحجم النسبي للنفوذ الأمريكي، حيث ظلت الولايات المتحدة الأمريكية تجعل من مواجهة إيران وتغوُّلها في المنطقة أهمّ الدوافع للتواجد الأمريكي في الشرق الأوسط وحماية مصالحها لدى الدول الخليجية.

فرضيات الدراسة:

تحاول الدراسة الإجابة على العديد من التساؤُلات المتعلقة بدرجة تأثير الحرب "الروسية-الأوكرانية" على منطقة الشرق الأوسط وأهمّ الفرضيات تتمحور حول ما يلي:

- فرضية التأثير المباشر للحرب على الإستراتيجيات الوطنية لدول المنطقة، وخاصة في المجال العسكري والأمني وتغيير الأولويات المتعلقة بالسياسات الخارجية، وكذا معاينة التغييرات في أنماط السلوك الخارجي لدول المنطقة المتمثل في نهج تحالُفات جديدة مع قُوى كبرى أو على الأقل تقارُب مع شركاء جُدد كما هو الشأن على سبيل المثال بالنسبة للتقارب "السعودي- الإيراني" والتقارُب التركي مع الدول العربية والشراكات المتقدمة مع روسيا والصين.

- اختبار فرضية عدم التأثير المباشر واستمرار دول المنطقة في نفس النَّسَق أو النظام الأمني والسياسي والإبقاء على التحالفات التقليدية خاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

- تحاول الورقة أيضاً اختبار فرضية عدم اليقين الأمني المرتبط بدول الشرق الأوسط غير المنتجة للنفط، والتي تعاني من أزمات بِنْيَويّة حادّة، وكذلك مصير الدول المنهارة كاليمن وليبيا وسورية.

- اختبار فرضية الانهيار السياسي والاقتصادي للدول النامية من دول الشرق الأوسط في ظل الحرب الأوكرانية، وهامش المناورة لدى الدول النفطية رغم ارتفاع أسعار النفط.

- اختبار فرضية إمكانية استفادة دول الشرق الأوسط من وجود مؤشرات لنظام متعدِّد الأقطاب، قد يجعل من استقلالية القرار عن واشنطن من مفردات المرحلة القادمة.

منهجية البحث:

اعتمدت الدراسة على توليفة من المناهج؛ أهمها المنهج الوصفي من خلال معاينة ظاهرة الدراسة موضوع البحث والتركيز على الأحداث وتوصيفها وتشخيصها، كما اعتمد البحث على المقاربة التاريخية من خلال استعراض أهمّ الأحداث الجوهرية التي سبقت الحرب "الروسية-الأوكرانية".

كما تمّ توظيف المنهج البنيوي والوظيفي في تفسير المتغيِّرات الرئيسية والثانوية التي قد تشمل بنيات نظام الأمن الإقليمي الفرعي في الشرق الأوسط وتأثير التغيير في بِنْية النظام الدولي على تطوُّر الأنظمة الفرعية في مناطق البحث على اعتبار أن المنطقة ليست مجالاً جغرافياً منسجماً ومندمجاً من جهة مواجهة الأزمات الدولية وإنْ كانت تتشابه في طبيعة الأنظمة السلطوية الموجودة في الحكم.

استخدام المنهج النسقي في الدراسة، يسمح بفهم مدخلات الصراع الروسي الغربي وتأثير ذلك على مخرجات دول الشرق الأوسط التي أصبحت تتجه إلى سياسات مختلفة تستهدف تنويع الشركاء بدل التَّمَترُس تحت الوصاية الأمريكية، وهذا بالتأكيد نتيجة لتغيير سياسة الدول الكبرى وإستراتيجياتها تجاه المنطقة.

أولاً: تحوُّل المنظورات السياسية وتشكيل أنساق جديدة:

لا شكَّ أنه من السابق لأوانه قياس التأثير الكامل للحرب الروسية الأوكرانية على الأزمات في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ومعاينته، لكن من الواضح أن تداعياتها ستكون متعددة الأبعاد، وخاصة على مستوى تبني بناءات وأنساق أمنية جديدة، وبالرغم من آثارها المحدودة على المجال العسكري والأمني، فإنه من الناحية السياسية يمكن استنتاج أن الفواعل الدولية والإقليمية في الصراع وضعت نفسها في مواجهة بعضها البعض وفي مواجهة العالم الخارجي وتأثير هذا الأمر على التحالفات السياسية[1].

قبل بداية الحرب الروسية الأوكرانية، كان الشرق الأوسط يعيش بالفعل وضعاً جديداً منذ عامين بفعل خفض التصعيد الإقليمي الذي أحدث تحولاً نسبياً في بعض السياقات الإقليمية كالعلاقات "التركية-العربية" التي أُعيد ترميمها ومحاولة تصحيح مساراتها[2]، والتوتُّر السعودي الإيراني الذي هدأ بشكل معقول بعد دخول البلدين في حوار ثنائي برعاية عراقية، وانتهى مؤخراً بتقارُب دبلوماسي واضح وإعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، فضلاً عن تحوُّلات السياسة الأمريكية في المنطقة بعد وصول الرئيس جو بايدن إلى سُدّة الحكم واستئناف المفاوضات مع إيران لإعادة إحياء الاتفاق النووي وتأزُّم العلاقات الأمريكية السعودية على إثر مقتل الصحافي جمال خاشقجي، لكن التباعُد الأمريكي السعودي هو نتيجة انخراط المملكة العربية السعودية في سياسة رفع أسعار النفط من داخل منظمة "أوبيك+5" وهو ما تعتبره إدارة بايدن بمثابة تأييد سعودي لروسيا لكسر وتيرة العقوبات الاقتصادية الغربية على موسكو وتأثيرها.

ويتوقع السعوديون دعمًا أمريكيًا لأمنهم القومي، بما في ذلك مساعدتهم في جهودهم الطارئة للاستعداد لعصر ما بعد الطاقة الهيدروكربونية، ويشعرون أنهم لم يحصلوا على هذا الدعم وهم في أمسّ الحاجة إليه.

(1) The Impact of Russia's Invasion of Ukraine in the Middle East and North Africa, International Crisis Group, 14 April 2022, link.

(2) بعدما عرفت العشرية الأخيرة بالمنطقة العربية، توتُّر علاقات تركيا مع دول رئيسية بالمنطقة، وخصوصاً السعودية والإمارات ومصر وإسرائيل، شهد العامان الماضيان شروع الرئيس التركي أردوغان في إعادة العلاقات مع كل من الرياض وأبو ظبي وتل أبيب، كما فتح قنوات للحوار وكسر الجليد مع كل من القاهرة ودمشق. واعتبر ذلك قراءة تركية جديدة للمنطقة ما بعد سنوات الربيع العربي.

كان تقاعُــس الولايات المتحدة في أعقاب الهجمات الصاروخية والطائرات المســيرة في أيلول/ ســبتمبر 2019، التي يُعتقد أن إيران نفذتها، ضد منشآت أرامكو السعودية نقطة تحوُّل رئيسية للسعودية، وربما قضى هذا التقاعس على أية آمال متبقية لدى السعودية في أن الجمهوريين أو ترامب سيقدمون الحل لتحسين العلاقات مع واشنطن وتطوير الأمن القومي. لا تعمل السعودية على تعديل أسعار النفط وفقاً لحسابات السياسة الأمريكية. ولكن ما تقوم به المملكة حالياً هو تجاهل الحسابات السياسية أثناء تحرُّكاتها من أجل تعديل أسعار النفط والحَيلُولة دون انحدارها إلى مستويات منخفضة بشكل غير مقبول. في سياق مثل هذه الشراكة الوثيقة والحيوية، يُشكّل عدم اهتمام السعودية بالحسابات السياسية الأمريكية أمرًا يخدم مصالحها الذاتية[3].

قــد لا يكون الهدف الأمريكي من التواجُد في الشرق الأوســط مجرد التــزوُّد من موارد الطاقة[4] ، ولكن يندرج بشــكل كبير في ســياق تشكيل المحور نحو آسيا أو في التركيز على "منافسة القُوى العظمى،" ومع الصين بالدرجة الأولى، حيث تظل منطقة الخليج، بما تتمتع به من موارد حيوية للطاقة وممرات مائية إســتراتيجية، ميزة تنافسية حاســمة للولايات المتحدة ومصدر نفوذها الرئيسي، لا ســيما مع قُوى جنوب وشرق آســيا. لتحقيق هذه الغاية تحتاج الولايات المتحدة إلى شريك محلي أســاسي، وفقط المملكة العربية الســعودية هي التي يمكنهــا أن تلعب هذا الدور بشكل معقول، نظرًا لأن العراق بالكاد يؤدي وظائفه، ولأن إيران تشكل مصدر المعارضة للوضع القائم وتدعم جهود القوى التصحيحية، ولأن دول الخليج الأخرى تفتقر إلى العمق الإســتراتيجي، من حيث عدد السكان والامتداد الجغرافي والحجم الاقتصادي الذي تستأثر به السعودية.

في الوقت الذي لم تؤثر فيه الحرب الروسية الأوكرانية على مسار خفض التصعيد الإقليمي، فإن تداعياتها كانت بارزة بشكل واضح على السياقات الأخرى، من سورية ومفاوضات النووي الإيراني إلى إعــادة تشــكيل علاقات تركيــا والخليج مــع الغرب وتوتُّــر العلاقــات "الإيرانية-الغربية" و"الإسرائيلية-الروسية"[5].

مــن ناحية أخرى، يأتي فَهْــم حدود الدور الــروسي في الإقليم بوجه عــامّ، وفي الدول المختنقة بالصراعات على وجه الخصوص، على رأس هذه المُنطلَقات.

(3) Husein Ibish, Why the U.S.-Saudi Crisis is So Bad and So Unnecessary, Oct 14, 2022, link.

(4) Jon Alterman and Husein Ibish, The Middle East's Coming Centrality: A Conversation With Jon Alterman, October 4, 2022, link.

(5) محمود علوش، حرب أوكرانيا أعادت تشكيل الشرق الأوسط، "الجزيرة نت"، 28 شباط/ فبراير 2023، الرابط

فروســيا التي تســعى لفرض نفســها على النظام العالمي كقوة كبرى تتحدى هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، ترى في الشرق الأوســط ميداناً مناسباً لاستعراض مقومات القوة المختلفة، وقد عزز من هذا التوجُّه قناعةُ موسكو بأن انسحاب الاتحاد السوفييتي من المنطقة إبان رئاسة ميخائيل جورباتشوف كان إيذاناً بانهياره كقُوة عُظمى [6] .

عِلاوة على ذلك، فإنه لا يمكن إغفال الرابط بين عودة روسيا إلى الشرق الأوسط، وتطوُّر الأحداث في البحر الأســود منذ عام 2014 وتحديداً في أعقاب ضمّ موســكو لشِبه جزيرة القرم وتنظيمها استفتاءً على وضع الجزيرة ترتب عليه انضمامها رسمياً لها في آذار/ مارس 2014. إذ سعت روسيا إلى إقامة علاقات جيدة مع دول الشرق الأوسط، هادفة إلى جذب استثمارات من المنطقة وكسر عزلتهــا الإقليمية ومواجهة العقوبات الدولية التي فُرضت عليها آنذاك. وما بين أزمة 2014 وما يدور حالياً في أوكرانيا، تظل أهداف موســكو في الشرق الأوســط قائمة وثابتة، ما ينفي أية تنبؤات بانسحاب روسي وشيك من المنطقة على خلفية هذه التطوُّرات [7].

على الصعيد الســياسي تعتمل داخل منطقة الشرق الأوســط العديد من المتغيرات المحورية. فالعديــد مــن دول المنطقة غارقة في حروب أهلية، كما تبتعد الأطــراف الفاعلة في المنطقة عموماً عن الاصطفاف العلني مع روســيا أو أوكرانيا/الغرب، وما زالت تفضل حتى الآن التحوُّط لرهاناتها واختياراتها الإســتراتيجية خوفاً من ســوء التقدير أو الحســابات الخاطئة التي من الممكــن أن تُؤثِّــر على مكانتها ووضعها بســبب النتائج المحتملة للحــرب. وحدهما النظامان السوري والإيراني، إضافة إلى حزب الله في لبنان والحوثيين في اليمن، مَن عبَّروا عن تضامُنهم المباشر والعلني مع روسيا.

على مســتوى القــرارات داخل منظمة الأمم المتحدة، هناك ثــلاث دول عربية عبَّرت عن موقف معــارض لحدّ ما إزاء التدخُّل الروسي، وهي الكويت التي أعلنت رفضها القاطع للاجتياح الروسي، وســاندت إلى جانب 80 دولة أخــرى مشروع قرار أممي لوقف الحرب. كــما عبَّر لبنان عن نفس الموقف، حيث أعلنت خارجيته مع بَدْء العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا إدانتها للاجتياح، ودعت روســيا إلى وقفه "فوراً". كما أيَّدت القرار الأممي في 2 آذار/ مارس 2022 المندد بالتدخل الروسي. ثم ليبيا، التي أدانت الاجتياح، ووصفته بـ أنه "انتهاك للقانون الدولي".

(6) المرجع السابق .
(7) تعقيدات ضاغطة: تأثيرات الحرب الأوكرانية على مسارات الصراعات في الشرق الأوسط، 30 أيار/ مايو 2022، مركز الروابط للبحوث والدراسات الإستراتيجية، **الرابط**

في حين اختارت ١١ دولة عربية الحياد الواضح، أبرزها مصر التي أيّدت القرار الأممي 2 آذار/ مارس، إلا أنها رفضت في الوقت نفسه توظيف العقوبات الاقتصادية ضد موسكو، ودعت إلى حل سريع عَبْر الحوار والطرق السلمية. أما قطر، فأيّدت القرار الأممي في آذار/ مارس 2022، ودعت إلى انتهاج الحوار والطرق الدبلوماسية وضبط النفس وتجنُّب التصعيد وسط مباحثات مع أطراف الأزمة.

وقد امتنعت دولة الإمارات العربية المتحدة عن التصويت لصالح قرار لمجلس الأمن يدين الاجتياح الروسي. وأكدت حرصها، مع تروٍّسها له على إجراء اتصالات مع طرفيَ الأزمة ومواصلة جهودها لإيجاد حلّ لها.

من جهتها أيدت السعودية القرار الأممي، لكن ولي العهد محمد بن سلمان أكد استعداد بلاده للعب دور الوساطة بين طرفيَ الأزمة في اتصالين هاتفيين مع كل من الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ونظيره الأوكراني فولوديمير زيلينسكي.

أما المغرب، فاختار الامتناع عن التصويت على القرار الأممي. وأعلن تشبُّثه بمبدأ عدم اللجوء إلى القوة وتعزيز مبادرات التسوية سلمياً للنزاعات. فيما أيّدت تونس القرار الأممي، إلا أنها أكدت في ذات الوقت أن الوسائل السلمية تبقى السبيل الوحيد والأمثل لوضع حدّ للتصعيد.

واختارت ثلاث دول عربية النَّأْي بنفسها عن النزاع؛ أولها السلطة الفلسطينية، ثانيها الجزائر التي امتنعت عن التصويت على القرار الأممي ولم تُصدر بياناً حول النزاع فأعلن الناطق باسم وزارة الخارجية محمد عبودي أن بلاده ترفض أن تكون طرفاً، وهو الموقف نفسه الذي اتخذه العراق [8] .

لقد دخلت العديد من دول المنطقة كدول الخليج العربي في محاولة التوازُن على حبل مشدود بالتودد إلى روسيا والدول الغربية معاً وتحاول لعب دور الوساطة، كما فعلت إسرائيل. إن القبول بالخيارات الغربية، كما ظهر في تصويت الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي أدان الغزو الروسي، ناجم في كثير من الأحيان عن ضغوط دبلوماسية غربية —كما في حالات مصر والإمارات العربية المتحدة— وليس نتيجة الموافقة الطوعية على تلك السياسات والقرارات، وهو ما يفسر أن منطقة الشرق الأوسط تجتاز مرحلة دقيقة تتَّسم عموماً بالخروج من وصاية القوة المهيمنة، والتعامل مع كل القوى الفاعلة في الإقليم في اتجاه تصفير الأزمات واستخدام القوة الناعمة لتحقيق أهداف الاعتماد الذاتي على المستوى العسكري والعملياتي.

(8) الحرب في أوكرانيا: هل غيرت الدول العربية مواقفها بعد عام على الاجتياح الروسي؟، موقع قناة فرانس 24، 17 شباط / فبراير 2023 ، **الرابط.**

ومن جهة أخرى، يُمكن حَصْر تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية على سورية والسياسات الإقليمية المرتبطة بها في 4 مُتغيِّرات رئيسية:

- تراجُع الوجود العسكري الروسي النسبي في سورية وما شكّله من فرصة لإيران لتعزيز نفوذها في هذا البلد.
- اضطراب العلاقات "الروسية-الإسرائيلية" الذي يعمل بشكل متزايد على تقييد قدرة إسرائيل على مواصلة جهودها لاستهداف الوجود العسكري الإيراني في سورية.
- تحوُّل سياسة تركيا تجاه دمشق نتيجة لتنامي شراكتها مع روسيا.
- الاتجاه العربي المتزايد لإعادة العلاقات مع نظام الرئيس بشار الأسد.

بالرغم من أن الحرب "الروسية-الأوكرانية" عزّزت مسارات إقليمية كانت قائمة بالفعل في فترة ما قبل الحرب، فإن تأثيرها العميق يبرز بشكل أكبر على علاقات الخليج بالولايات المتحدة وعلاقات إيران بالغرب وروسيا[9].

إن الإعياء الدبلوماسي أو شعور الجهات المانحة بالإنهاك من خلال الاشتباك بشكل غير مباشر في الحرب الروسية الأوكرانية، قلّص أساساً من منسوب الاهتمام بأزمات المنطقة، مثل الصراع "الإسرائيلي – الفلسطيني"، أو الانهيار الاقتصادي اللبناني، أو التهديد المتزايد بحدوث مجاعة في سورية أو بالكارثة الإنسانية في اليمن. ومن المرجح أن يتضاءل الاهتمام بهذه الأزمات من قِبل الجهات الفاعلة الدولية المنشغلة في أحداث عاجلة وملحّة تتكشف في أوروبا[10] .

(9) محمود علوش، حرب أوكرانيا أعادت تشكيل الشرق الأوسط، مرجع سابق.

(10) The Impact of Russia's Invasion of Ukraine in the Middle East and North Africa, idem.

ثانياً: المعادلة الروسية والنفوذ المحدود في الشرق الأوسط:

على الرغم من التقدُّم الهائل الذي حققته روسيا في منطقة الشرق الأوسط على صعيد النفوذ السياسي والعسكري على مدى العَقْد الماضي، فإن قدرة روسيا على تحقيق نتائج وإنجازات كبرى لصالحها على المدى الطويل - في مقابل انتزاع مكاسب قصيرة الأجل وتعطيل سياسات الغرب ظلت مقيدة في النهاية بمجموعة أدواتها وإمكاناتها المحدودة، ذلك أن تأثير روسيا في المنطقة يحدّه نفوذها الاقتصادي الضئيل بالمقارنة مع نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي والصين. بناء على ذلك، فإن روسيا عادة ما تدخل في شراكات مُجدِية عندما تشعر أن الدول أو الجهات الفاعلة الإقليمية لديها الموارد المالية الكافية لدفع ثمن مساعدتها أو حيث يمكنها الاعتماد على استخراج الموارد الطبيعية، مثل النفط أو المعادن[11] .

في أعقاب غزوها لأوكرانيا، تحاول موسكو تسخير أي مكاسب إستراتيجية حققتها في الشرق الأوسط من تدخُّلاتها المتعددة والمزايا الدبلوماسية التي تحصلت عليها من وراء سياسة المساعدات. على وجه التحديد، قامت روسيا بإعادة نشر الآلاف من مرتزقة مجموعة WAGNER من سورية وليبيا إلى شرق أوكرانيا بينما كان يُروَّج أيضًا أنها تقوم بتجنيد الميليشيات السورية الموالية لنظام بشار الأسد [12].

ولكن لا ينبغي المبالغة في تأثير هذه التطوُّرات وخاصة أهميتها العسكرية في أوكرانيا، ويوظف الكرملين الشركات الخاصة للأمن وهي مجموعات غير نظامية كمجموعة فاغنر في الحروب المعاصرة، حيث إن هذه الأخيرة لديها القدرة على المناورة والتكيف كقوة شِبه عسكرية تقوم بقتال المتمردين، وحراسة البِنْيات التحتية للدول المتعاقَد معها، ودعم الأنظمة الديكتاتورية وأمراء الحرب في ساحات القتال غير التقليدية في إفريقيا والشرق الأوسط، وذلك بالموازاة مع السعي لتحقيق مكاسب اقتصادية والاستفادة من الاستثمارات الدولية والسطو على خيرات هذه البلدان في مقابل تقديم خدمات أمنية والاصطفاف إلى جانب بعض الأنظمة الدكتاتورية.

(11) Frederic Wehrey, The Impact of Russia's Invasion of Ukraine in the Middle East and North Africa, May 19, 2022, link

(12) وثائقي للجزيرة يكشف أسرار ارتباط فاغنر بالكرملين وانتهاكاتها بسوريا وأفريقيا الوسطى، 30 حزيران/ يونيو 2023، موقع الجزيرة نت، الرابط.

لكـن في الحـرب التقليديـة في أوكرانيـا، تواجـه مجموعة فاغنر عـدوًا أفضل تجهيـزاً وتدريباً تمكّن فعلياً بعد قُرابة سنتين من الحرب من تحطيم معنويات القوات النظامية الروسية، وكذلك ساحة معركة تتميز في العديد من المناطق بشكل أقل بقتال المشاة من خلال استعمال كبير للصواريخ والمدفعية وضربات الطائرات بدون طيار (Drones).

وبالمثل، فإن تجنيد موسكو لأعداد كبيرة من السوريين -الذين تمت المبالغة في تقدير عددهم ووصولهم الفعلي إلى أوكرانيا والذين تُقدَّر كفاءتهم القتالية بالضعيفة وغير الاحترافية- لن يمنح روسيا أي ميـزة حقيقيـة. هم ببسـاطة مجرد أهـداف للمدافع الأوكرانية والغربيـة عموماً، لكن في ليبيا، فإن الأهداف الإستراتيجية الروسية في إبقاء قوات فاغنر على الأرض، تمثل ترسيخاً للنفوذ الروسي ووسيلة محتملة لتعقيد السياسات الأمريكية والأوروبية في هذا البلد[13] .

(13) Frederic Wehrey, The Impact of Russia's Invasion of Ukraine in the Middle East and North Africa, 19 May 2022, link

ثالثاً: التداعيات الأمنية والجيوسياسية:

على المستوى العسكري، لم يحدث الكثير من التغييرات التي قد تُسهم في توقيع تحوُّلات مركزية في توازُن القوى الحالية في منطقة الشرق الأوسط، لكن قد تكون المسألة مجرد وقت قبل أن تتشكل نسبياً العديد من التداعيات العسكرية والأمنية. لقد اقتصر استعراض القوة الروسية على سورية وبشكل غير مباشر من خلال مجموعة فاغنر غير الحكومية في ليبيا.

في سورية، ما يزال التفاهم الروسي مع إسرائيل بشأن إطلاق يد الأخيرة في استهداف الأصول الإيرانية والمدعومة إيرانياً نافذاً، وفي حين يبدو أن بعض مقاتلي فاغنر في ليبيا قد رجعوا إلى روسيا، فإن البعض الآخر ما زال موجوداً في القواعد والثكنات العسكرية. لكن المتغيِّرات يمكن أن تُحدث آثاراً من النَّسَقين الأول والثاني وبقوة أكبر، الأمر الذي سيعزز ديناميكيات الصراع الموجودة، مثل تصعيد المواجهات العسكرية بين إيران وإسرائيل في مسارح عمليات قد تشمل المنطقة بأسرها[14].

على الجانب العسكري، بدأت التداعيات الإقليمية للحرب الأوكرانية في الظهور على أكثر من صعيد، بَيْد أن أكثرها وضوحاً سيكون في سورية؛ بالنظر إلى أكثر من عامل، منها ما يتم تداوُله بشأن عمليات تجنيد المقاتلين السوريين للقتال لصالح أحد طرفَي الحرب "الروسية - الأوكرانية". وفي حال صحة تلك التقارير، فإن إعادة نشر المقاتلين السوريين، خاصة الموالين لنظام بشار الأسد، من شأنها خلق هشاشة أمنية، لا سيما في المناطق التي يسيطر عليها النظام السوري. عِلاوة على ذلك، قد تتراجع القدرات القتالية للقوات الروسية وكذا السورية المدعومة من موسكو؛ جراء نقص الذخائر وقطع الغيار المطلوبة للصيانة، في ضوء إغلاق مضيقَي البوسفور والدردنيل أمام السفن الروسية.

يُضاف إلى ذلك، المخاوف بشأن مستقبل اتفاق وقف إطلاق النار في محافظة إدلب شمال غرب سورية، والذي تم التوصل إليه في مارس 2020، حيث إن مدى صمود هذا الاتفاق يعتمد إلى درجة كبيرة على العلاقة بين روسيا وتركيا، وفي هذا الإطار، تنبع المخاوف من قيام أنقرة بإرسال طائرات مُسيّرة لأوكرانيا، فضلاً عن قيامها بإغلاق مضيقَي البوسفور والدردنيل أمام السفن الحربية الروسية، وبالتالي ثمة مخاوف من أن تدفع هذه المواقف التركية، روسيا إلى تصعيد أعمالها العسكرية ضدّ الوجود التركي في الشمال السوري.

(14) أثر الغزو الروسي لأوكرانيا على الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مجموعة الأزمات الدولية، 14 نيسان / إبريل 2022 **الرابط**.

أيضاً تشير تقارير غير مؤكدة إلى انسحاب بعض وحدات "فاغنر" ومقاتلين سوريين موالين لموسكو من ليبيا، وعودتهم إلى روسيا. بَيْد أنه في ضوء الأهداف الإستراتيجية الروسية في ليبيا، ربما تنزع موسكو إلى مواصلة استخدام قوات "فاغنر" في ليبيا لخلق مزيد من الضغوط على أوروبا عَبْر جنوب المتوسط [15].

إن المدى الذي تبنَّت فيه دول الخليج العربية مواقف محايدة نسبياً تجاه الحرب الروسية الأوكرانية، يوضح رغبتها في الاستقلال المتزايد عن واشنطن وتصميمها على تأكيد هذه الاستقلالية. تحاول دول المنطقة في هذا العالم متعدد الأقطاب وبشكل متزايد، أن تجعل السياسات الخارجية لدول مجلس التعاون الخليجي، وخاصة المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، موجهة نحو تنويع العلاقات التجارية والأمنية بطرق تضمن مستويات أعلى من الاستقلالية ووحدة القرار السيادي الخارجي بمعزل عن الوصاية الأمريكية. ومن الناحية العملية، يستلزم هذا الأمر تعزيز العلاقات مع مختلف الجهات الفاعلة العالمية بغض النظر عن التنافس الدولي المحموم بين القوى الدولية، بما في ذلك الولايات المتحدة من جهة وروسيا والصين من جهة أخرى[16] .

ويجب أن يُفهم رد فعل دول مجلس التعاون الخليجي على العدوان الروسي ضد أوكرانيا في سياق جيوسياسي أوسع، وعلى مدار العديد من الإدارات الأمريكية، فقدت دول الخليج العربية الثقة في قدرة واشنطن واستعدادها للعمل كضامن لنظام للأمن الإقليمي فعّال ومستديم. تراكمت محطات فشل الإدارة الأمريكية في التعاطي مع قضايا الشرق الأوسط، بداية من إدارة بيل كلينتون التي فشلت في التوسط بنجاح في عملية السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين خلال التسعينيات من القرن الماضي، وقرار إدارة جورج دبليو بوش بغزو العراق في عام 2003، وموقف إدارة باراك أوباما من ثورات الربيع العربي والموقف من الأزمة السورية، ورد فعل إدارة ترامب من الأزمات المشتعلة في المنطقة ومن بينها الأزمة اليمنية والموقف الأمريكي من هجمات أرامكو في سبتمبر/ أيلول 2019، والانسحاب الأمريكي الفوضوي من أفغانستان تحت إدارة جو بايدن، كلها عوامل ساهمت في تشكيل وجهة نظر دول الخليج العربية تجاه واشنطن باعتبارها شريكاً غير موثوق فيه لتعزيز الأمن والاستقرار في الشرق الأوسط [17].

(15) تعقيدات ضاغطة: تأثيرات الحرب الأوكرانية على مسارات الصراعات في الشرق الأوسط، 30 أيار / مايو 2022، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، **الرابط**.

(16) Goergio Cafiero, where has the Ukraine Conflict Left Gulf States? 22 Feb 2023, **link**

(17) المرجع السابق.

كما أن هناك العديد من المجالات التي يسعى أعضاء مجلس التعاون الخليجي إلى مواصلة العمل فيها مع الروس على الرغم من الضغوط الغربية لقطع هذه العلاقات. تتمثل المصالح المشتركة لدول الخليج وروسيا في مجال الطاقة، حيث تحافظ روسيا وأعضاء مجلس التعاون الخليجي في أوبك بلس (التي تشمل جميع دول الخليج العربي باستثناء البحرين وقطر) على تعاوُنها وتنسيقها ككتلة تقودها كل من الرياض وموسكو. كما تغطى مجالات التعاون بين دول مجلس التعاون الخليجي وروسيا قطاعات الأعمال المصرفية والاستثمار والسياحة والتعاون في مجال محاربة الإرهاب.

إن امتناع حكومات الخليج العربية، عن إدانة التعاون العسكري الروسي مع إيران في أوكرانيا، يؤكد نجاح موسكو في الحفاظ على علاقات إيجابية مع كل من طهران من جهة، وجميع أعضاء مجلس التعاون الخليجي الستة من جهة أخرى. لقد كان هذا التوازُن في السياسة الخارجية بمثابة عقيدة للسياسة الخارجية الروسية في منطقة الخليج، حيث ترى موسكو هذه المنطقة الفرعية كمسرح مهمّ لمواجهة النفوذ الأمريكي. وبعد مرور أزيد من عام على حرب أوكرانيا، لا يزال هذا التوازُن في علاقات روسيا الخليجية قائماً. ومع ذلك مع دخول الحرب الأوكرانية عامها الثاني وكل الدلائل التي تشير إلى أن الوفاق الروسي الإيراني من المقرر أن يتعزز في الفترة المقبلة، يبقى السؤال الجوهري هو ما إذا كان هذا التحالف المتزايد بين موسكو وطهران سيؤدي إلى خلافات وتوتُّرات بين دول مجلس التعاون الخليجي وروسيا [18].

(18) المرجع السابق.

رابعاً: التداعيات الاقتصادية:

فتح الغزو الروسي لأوكرانيا الأبواب على أزمات عالمية في العديد من المجالات، على رأسها الغذاء والطاقة، فيما دفع نحو تغييرات في السياسة الأوروبية، وفي ملامح العلاقات الدولية.

تضرَّرت أوكرانيا، البلد الأساسي على خريطة إنتاج الغذاء العالمي، بشكل كبير من الحرب ويتجلى ذلك في تأثيرات كبيرة في أسعار السلع الغذائية في الأسواق العالمية، وهدَّدت إمدادات الغذاء، مع ما يعنيه ذلك بالنسبة إلى الدول النامية من تهديد للأمن الغذائي، وتمكنت المعالجة السياسية من خلال مبادرة حبوب البحر الأسود، والإجراءات الأوروبية عَبْر ممرّات التضامن وغيرها، من التخفيف من تداعيات الحرب على مستوى الغذاء بشكل كبير.

من ناحية أخرى وبعد الغزو الروسي لأوكرانيا زادت أسعار الطاقة، التي كانت أصلاً قد ارتفعت بشكل تدريجي في عام 2021، عندما بدأت الحياة تعود إلى طبيعتها في أعقاب الشلل التاريخي الذي تسبّبت به جائحة كورونا. وكان لا بُدّ بالتالي، من البحث عن حلول وعن بدائل اقتصادية ممكنة لمواجهة الوضع، وبشكل خاصّ من قِبل دول الاتحاد الأوروبي ومجموعة السبع. وقد ساهمت الإجراءات الأوروبية والدولية، إلى جانب عوامل أخرى أبرزها تباطُؤ الاقتصاد العالمي وبالتالي تراجُع الطلب على الطاقة، في إعادة انخفاض أسعار الطاقة بشكل لافت [19].

شكّلت التطوُّرات المتسارعة للحرب في أوكرانيا وعواقبها وتداعياتها السلبية على الاقتصاد العالمي، ضربة قوية لدول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، حيث إن هذه المنطقة مُعرَّضة فعلياً لتداعيات التحوُّل من جراء الأزمة الاقتصادية. فالمنطقة لا تفصلها عن أوكرانيا سوى مسافة تبلغ قُرابة ألف كيلومتر (إذا رسمنا خطّاً مستقيماً مُتصوَّراً من أوكرانيا إلى بلدان الشرق الأوسط). وعلى الصعيد الاقتصادي، فإن بعض بلدان المنطقة أيضاً تربطها علاقة شراكة تجارية مع أوكرانيا وروسيا. وبالتالي فإن آثار الأزمة ستكون ملموسة وواضحة -وإنْ كانت بدرجات متفاوتة- على اقتصادات المنطقة، ومما يبعث على القلق أنه قد تكون لها تَبِعات سلبية مُضاعَفة على مستويات الأمن الغذائي والرفاه عَبْر أرجاء المنطقة، فضلاً عن جائحة كورونا، وتعطُّل سلاسل الإمداد، ومشكلات داخلية تخصّ كل بلد من بلدانها.

(19) جهاد الملاح: عام على الغزو الروسي لأوكرانيا.. التداعيات الاقتصادية والسياسية العالمية، مركز أبعاد للدراسات الاستراتيجية، 24 شباط / فبراير 2023، الرابط.

وعلى هذا النَّسَق يمكننا تلخيص القنوات الرئيسية لتأثير الأزمة في خمس فئات وهي:

- صدمات أسعار الغذاء (لا سيما القمح).
- زيادات أسعار النفط والغاز.
- عزوف المستثمرين عن المخاطر/جنوحهم إلى الاستثمارات الآمنة، الأمر الذي قد يؤثِّر على تدفُّقات رؤوس الأموال الخاصة على الأسواق الصاعدة ككل.
- تحويلات المغتربين.
- السياحة [20].

قبل الحرب شكّلت روسيا وأوكرانيا أكثر من ربع صادرات القمح العالمية. والأكثر عُرْضة لتأثيرات ارتفاع الأسعار الناجم عن الحرب هي البلدان التي يُعتبر القمح بالنسبة لها مصدراً رئيسياً للغذاء، والتي تعتمد على الواردات لتلبية احتياجات الأمن الغذائي، ومعظم وارداتها من القمح تأتي من أوكرانيا وروسيا. وفقًا لمنظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو)، تعتمد خمسون دولة على روسيا وأوكرانيا فيما لا يقل عن ثلاثين بالمائة من وارداتها من القمح. في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا (MENA)، تشمل هذه البلدان لبنان ومصر وليبيا وعمان والمملكة العربية السعودية واليمن وتونس وإيران والأردن والمغرب[21] .

يؤثر ارتفاع أسعار الموادّ الغذائية على السياسات الدولية والوطنية، ولا سيما في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، حيث وصل مؤشر المنظمة العالمية للزراعة والأغذية لأسعار المواد الغذائية إلى أعلى مستوى له منذ خمسين عامًا. في عام 2013، بالتزامن مع الاحتجاجات وتغييرات النظام التي ميزت الربيع العربي، وصل مؤشر الفاو لأسعار الغذاء إلى مستوى مرتفع جديد في مارس 2022، بعد عامين من الزيادات المطّردة بسبب جائحة "Covid-19"، وبعد غزو روسيا لأوكرانيا. نظرًا لأن البُلدان في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا معرَّضة لارتفاع أسعار الغذاء العالمية، فإن درجة أخطار انعدام الأمن الغذائي، وقدرة حكوماتها على الاستجابة ومعالجة هذه المخاطر، وشُحّ الاستجابات الدولية، بل وحذرها، من قِبل الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، تعتمد على عوامل متعددة وتختلف من بلد إلى آخر[22] .

(20) فريد بلحاج، ضغوط متفاقمة: الحرب في أوكرانيا وتداعياتها على منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مدونات البنك العالمي، 3 تموز / يوليو 2022، **الرابط**.

(21) The importance of Ukraine and the Russian Federation for global agricultural markets and the risks associated with the current conflict," Food and Agriculture Organization of the United Nations (FAO), March, 2022, **link**

(22) FAO Food Price Index ends year with sharp decline," FAO, 12 January, 2012, **link**

قطعاً ليس هناك رابح في منطقة الشرق الأوسط من حرب مدمرة كالحرب في أوكرانيا، لكن البلدان المصدّرة للمواد الهيدروكربونية مثل قطر والسعودية والكويت وليبيا والجزائر، قد تشهد تحسُّناً في أرصدة المالية العامة وميزان المدفوعات الخارجية وتعزيز معدلات النمو. ومن المحتمل أيضاً أن تشهد البلدان المصدرة للغاز، على وجه الخصوص، زيادة هيكلية في الطلب من أوروبا، حيث أعلنت سلطات الاتحاد الأوروبي عن اهتمامها بتنويع مصادر إمداداتها من منتجات الطاقة.

أمَّا البلدان غير المنتجة للنفط فسوف تتعرَّض لتداعيات سلبية قد تقود إلى توتُّرات اجتماعية إضافية. وفيما يتعلق بالتحويلات -لا سيما تلك التي يرسلها المغتربون في دول مجلس التعاون الخليجي- فإنها لن تُعوِّض إلا عن جزء يسير من صدمة الهيدروكربونات (مثل الأردن ومصر)، أمَّا البلدان الأكثر تأثُّراً بحركة السياحة مثل مصر (التي يُشكِّل الروس والأوكرانيون على الأقل ثُلُث السياح الوافدين إليها) فمن المتوقع أن تشهد ركوداً في هذا القطاع، وما لذلك من تداعيات سلبية على معدلات التشغيل وميزان المدفوعات.

وأخيراً، سيُؤثِّر الصراع في أوكرانيا تأثيراً ملموساً وسلبياً على عدة اقتصادات في المنطقة (مثل لبنان وسورية وتونس واليمن). فهذه البلدان تعتمد اعتماداً أساسياً على أوكرانيا و/أو روسيا في الحصول على وارداتها الغذائية، ولا سيما القمح والحبوب. ومن المتوقع أن تؤدي الأزمة إلى تعطُّل سلاسل توريد الحبوب والبذور الزيتية، وزيادة أسعار الأغذية، وارتفاع كبير في تكاليف الإنتاج المحلية في قطاع الزراعة، وستكون لانخفاض غلات المحاصيل والدخول لا سيما لصغار المزارعين آثار سلبية على سُبُل كسب العيش، وقد يُؤثِّر ذلك على المنتمين إلى الفئات الفقيرة والأكثر احتياجاً الذين يعتمدون على الزراعة في كسب أرزاقهم أكثر من غيرهم[23] .

من خلال استيعاب التداعيات الاقتصادية للحرب الروسية الأوكرانية، يبدو أن فئات عريضة من مواطني دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا معرضة لخطر اختلال الأمن الغذائي. على سبيل المثال جمهورية مصر العربية تتواجد في وضع محفوف بالمخاطر حيث إن معظم سكانها (88 في المائة) [24] يستفيدون من نظام تقنين الخبز الحكومي لتلقي الخبز المدعوم. وبالمثل يعيش لبنان في وضع اقتصادي وإنساني كارثي، حيث يعيش 82 في المائة[25] من السكان على حافّة الفقر.

(23) فريد بلحاج، ضغوط متفاقمة: الحرب في أوكرانيا وتداعياتها على منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مدونات البنك العالمي، 3 تموز / يوليو 2022، **الرابط**.

(24) Michael Tanchum, The Russia-Ukraine War has Turned Egypt's Food Crisis into an Existential Threat to the Economy, 3 March, 2022, **link**

(25) Multidimensional poverty in Lebanon (2019-2021) Painful reality and uncertain prospects, UN, ESCWA, **link**

كما تضم اليمن وسورية تجمُّعات سكانية هي الأكثر ضعفاً وهشاشة اقتصادية واجتماعية في العالم، حيث يوجد في اليمن أكثر من 4 ملايين نازح داخلي[26] ويعيش 67 في المائة من سكانها تحت عتبة الفقر، ويوجد في سورية أكثر من 6.5 مليون نازح، و90 بالمائة من سكانها يعيشون تحت عتبة الفقر.

بناءً على ما تقدم، فإن التأثير على الأمن الغذائي وتكاليف الوقود جِدّ مكلّف بالنسبة لهذه البلدان، على سبيل المثال، كانت أسعار المواد الغذائية في سورية أعلى بنسبة 37 في المائة في نيسان/ إبريل 2022 مقارنة بشهر شباط/ فبراير من نفس السنة[27] ، بعد شهر واحد فقط من الحرب في أوكرانيا.

بالإضافة إلى ذلك، يتبيَّن فعلياً أن منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا تتضرر من تداعيات الحرب من الناحية الاقتصادية، غير أن ما يمكن تسجيله هو أن مستوى حِدّة الأزمة يختلف حسب قوة اقتصادات هذه البلدان ومعدلاتها الديموغرافية ومستوى الاستجابة لديها في مواجهة كل احتمالات الانهيار الغذائي ومستوى دعم الدول للسكان نتيجة لحالة الخصاص وشُحّ سلسلة الإمدادات الغذائية. تتوفر الدول الخليجية مثلاً على مقدّرات من النفط والغاز حيث بإمكانها تجاوُز هذه الصعوبات عَبْر المداخيل الكبيرة التي تتحصَّل عليها من جراء ارتفاع أسعار المحروقات بشكل قياسي.

في حين تعاني العديد من الدول العربية من صعوبات اقتصادية نتيجة الحرب الأوكرانية، وقبل ذلك أزمة كورونا، ذلك أن ارتفاع أسعار المواد الاستهلاكية بشكل مهول وضعف القدرة الشرائية وفشل السياسات الحكومية في مواجهة حالة الانحسار الاقتصادي ومظاهر التضخُّم وارتفاع نسب البطالة وضعف معدلات الاستثمار والتنمية قد يُسهم في احتمال نشوب احتجاجات اجتماعية وفوضى في هذه الدول كما حصل بعد الربيع العربي 2011.

في حين تظلّ العديد من الدول التي تشهد توتُّرات مسلحة كسورية واليمن وليبيا عُرْضة للانهيار بشكل نهائي بسبب عدم قوة الدولة المركزية أو انعدامها، وضعف البنيات الاقتصادية وعدم استقرارها وتراجُع المساعدات الإنسانية الدولية، مما قد يُسهم في حال استمرار الحرب الروسية الأوكرانية في أزمة الغذاء وارتفاع معدّلات الفقر في هذه البُلدان وارتفاع معدّلات اللجوء وتدفُّقات الهجرة.

(26) Needs mount as conflict in Yemen rages on, 1 April 2022, **link**

(27) WFP Syria Situation Report, May 2022, **link**

خامساً: هل تستفيد دول الشرق الأوسط من نظام متعدِّد الأقطاب؟

كشــفت تطوُّرات الأزمة الأوكرانية، عن مؤشرات على وجود بداية تحوُّل في ميزان القُوى العالمي، رغم أن مُخرَجات الحرب ما تزال غير واضحة المعالم.

المؤشر الأول: ظهور حالة شلل في مؤسسات النظام الدولي، مثل مجلس الأمن الدولي ومؤسسات التعاوُن متعددة الأطراف، نتيجة الاستقطاب الشديد واحتدام الصراع بين الغرب وروسيا، والتململ في مواقف الصين وأدوارها.

المؤشر الثاني: توجُّه دول كانت تعتمد أساســاً على القوة الناعمة المتمثلة في الاقتصاد للتأثير العالمي، مثل ألمانيا واليابان والصين، إلى إضافة أبعاد سياسية وعسكرية في قوتها، مما سيمنح أدوارها "توازُناً أكثر".

المــؤشر الثالث: أن عدداً متزايداً من الــدول العربية -وعلى غرار دول عديدة في العالم- بدأ ينمو لديها شعور بالاستياء بسبب تركيز القُوى الكبرى والمؤسسات الدولية أيضاً اهتماماتها حول حرب أوكرانيا والمنافســة بين الولايات المتحدة والصين، وبالمقابل فإن القوى الكبرى تصرف الانتباه عن قضايا مُلِحّة وخطيرة مثل الديون وتداعيات جائحة كورونا والمناخ[28] .

ويرصــد خبراء أن حرب أوكرانيا أيقظت نزعة عدم الانحياز لدى قُوًى غير غربية، وإنْ كانت بشكل مختلف؛ ففي ظل أزمة مديونية ثقيلة لدى أكثر من 50 دولة في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وفشل المفاوضات مع صندوق النقد الدولي في دول مثل سريلانكا وباكستان وتونس، يبدو البحث حثيثاً عن بدائل ممكنة لتجاوُز نظام "بروتن وودز".

في غضون ذلك تظهر حالياً نزعات لدى العديد من الدول للبحث عن حلول لمشاكلها وبدائل جديدة لا تقوم على قواعد النظام العالمي الســائد، لكن دون أن تتبلور إلى حدّ الآن، اتجاهاتها في شكل قوى جديدة منظمة، ففي العالم العربي ورغم إقدام عدد من دول المنطقة مثل السعودية ومصر والإمارات والجزائر والمغرب، على اتخاذ قرارات سياسية تتَّسم بنوع من الاستقلالية عن الغرب: عن الولايات المتحدة بدرجة أولى ثم عن أوروبا، لا توجد مؤشرات واضحة على وجود نوع من التنسيق فيما بينها، بقدر ما تهيمن اعتبارات المصلحة الخاصة بكل دولة على حِدَةٍ.

(28) منصف السليمي، كيف تؤثر حرب أوكرانيا على تحالفات دول عربية مع الغرب؟ موقع تلفزيون DW، 24 فبراير 2023، **الرابط**.

إن بـوادر تشـكُّل نظـام عالمـي متعـدِّد الأقطـاب، يجعل الـدول العربية تفكـر في مُوازَنـة مصالحها وعلاقاتهـا مـع القـوى العالميـة المختلفة مثل الصين وروسـيا وأوروبا، وبالتـالي خروجها من دائرة التحالـف الأحـادي الاتجـاه مـع الغـرب، باتجـاه البحـث عـن "مسـاحات حركة" بـين القـوى العالمية المتنافسة على النفوذ، ملاحظاً بأن هذا النهج يشكل "إستراتيجية جيدة" لجني مصالح ومكاسب أكبر من القوى المتنافسة على النفوذ.

وتُعتـبر الصـين الشريـك الاقتصـادي الأول مـع الدول الخليجية، ولكـن رغم الخطـوات التي أقدمت عليهـا السـعودية باتجـاه التقارُب مع موسـكو، وتنظيمها لمؤتمر قمة صينية عربيـة، إلا أن عُمق ارتبـاط أمنهـا الإقليمـي بالمظلة الأمريكية يجعل تلك الخُطُوات محـدودة ولا يمكن أن تذهب إلى مسـتوى التخـلي عـن تحالُفهـا مـع الولايـات المتحدة واسـتبداله بحلف مع روسـيا أو الصـين"، وقد يتعلق الأمر بمجرد مناورة ورغبة من دول عربية كالسـعودية ومصر في توجيه رسـائل إلى الحليف الأمريكي ليأخذ بعين الاعتبارات انشغالاتها وقضايا ذات أهمية بالنسبة إليها[29] .

في الحقيقة يبدو أن اسـتمرار الانقسـامات وغياب مشـاريع اندماج إقليمي للدول العربية في دوائر أقل نطاقاً مثل النطاق المغاربي بالنسبة لدول شمال إفريقيا، باستثناء تجربة الاندماج بين دول الخليج العربية، من المرجَّح أن تستمر حاجة الدول العربية منفردة إلى تحالُفات مع القُوى الغربية لتأمين متطلبات استقرارها وأمنها الإستراتيجي، حتى إنْ اكتست تلك التحالُفات أشكالاً ومفاهيمَ جديدةً تحاول التأقلم مع التحوُّلات التي يشهدها النظام الدولي.

(29) المرجع السابق.

سادساً: السياسات الوقائية والبدائل المحتملة واستنتاجات:

لا شــكَّ أن للصراع في أوكرانيا تأثيراً جِدّ ســلبي على البلدان الضعيفة والهشّة في منطقة الشرق الأوسط وشــمال إفريقيا، ويمكن التخفيف من انعكاسات الحرب الروســية الأوكرانية من خلال القيام بما يَلِي:

- نهج سياســات مســتقلة نســبياً عن دائرة نفوذ القُوى الكبرى من خلال التركيز على المصالح الحيوية للمنطقة العربية وبناء تحالُفات مرحلية ذكية تُقلِّل من التصعيد العسكري في المنطقة وتُســهِّل عملية حَلْحَلَة الأزمات بالاعتماد على فتح الحوار بين الفواعل الإقليمية وتقريب وجهات النظر بينها بدل التنافُس المحموم والاعتماد على الراعي الأمريكي أو الأوروبي.
- خلق منظورات وديناميات أمنية وسياســية واقتصادية جديدة تســتهدف تحصين منطقة الشرق الأوســط من انعكاســات الحروب الدولية وتجاوُز منطق الاصطفــاف إلى جانب الغرب أو روســيا، حتى لا تصير المنطقة العربية ضحية لهذا الصراع وتدفع الثمن غالياً في الأمد المتوسط والبعيد.
- الاســتفادة من التدافع والاستقطاب الدولي خاصة على مستوى منطقة الشرق الأوسط، حيث تظهر ملامح نظام دولي جديد في طَوْر التشــكُّل يقوم على أبعاد جديدة تميل في اتجاه التعدُّدية القطبية واقتسام النفوذ بين العديد من الفواعل الدولية.
- تحقيق التكامل بين دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وبناء منظومة مساعدات إقليمية بمقتضاهــا تُقدِّم الدول الغنية دعماً اقتصادياً للدول العربية الهشّــة، وتأمين المواد الغذائية، على ســبيل المثال فقــد تم تدمير صومعة القمح الوحيدة في لبنــان في انفجار بيروت في آب/ أغسطس 2020، حيث اعتاد لبنان تخزين ثلاثة إلى أربعة أشهر من الإمدادات في تلك الصومعة، لكن حالياً، يمكنه تخزين ما يصل إلى شــهر واحد فقط في طرابلس ثاني أكبر مدينة في البلاد، هناك حاجة مُلِحّة لاستكشاف بدائل للإمدادات الغذائية الروسية والأوكرانية، ولكن من الضروري تحديد الحلول البديلة وتحديد موقعها لتخزين هذه الإمدادات [30].

(30) مها الدهان وإلن فرنسيس، لبنان يواجه تحديا لتوفير الغذاء بمخزون شحيح ودون صومعة حبوب، موقع وكالة رويترز بتاريخ 7 آب / أغسطس 2020، الرابط.

- مع حظر أوكرانيا تصدير العديد من المواد الغذائية، يجب على الدول الأخرى المُنتِجة للقمح مثل الولايات المتحدة وكندا رفع مستوى الاستجابة والدعم من خلال زيادة صادراتها نحو برنامج الأغذية العالمي.
- يتعين على الدول والهيئات المانحة إعطاء الأولوية للتمويل الكامل لخُطَط الاستجابة الإنسانية في المنطقة لمنع المزيد من التدهور في الظروف المعيشية. بالإضافة إلى ذلك يجب على الحكومات المانحة إيجاد طُرُق لامتصاص الزيادات في أسعار الموادّ الغذائية لمنع وكالات الأمم المتحدة، مثل برنامج الأغذية العالمي، والمنظمات غير الحكومية من خفض الحِصَص الغذائية للفئات السكانية الضعيفة والفقيرة.
- كشف الصراع في أوكرانيا عن الاعتماد العالمي على الوقود الأحفوري، ولهذا يلزم على الدول المانحة أن تغتنم هذه الأزمة لدعم تنويع مصادر الطاقة وزيادة الاعتماد على الطاقة المتجدِّدة في بُلدان الجنوب التي تواجه تعقيدات شديدة بسبب ارتفاع تكلفة المحروقات.

خُلاصة:

أدّت الحرب الروسية الأوكرانية إلى إعادة تشكيل علاقات القوى الإقليمية مع الخارج وإحداث تحوُّلات على نفوذ القُوى الكبرى في الشرق الأوسط، يبرز التحوُّل الأكبر في هذا السياق في منطقة الخليج التي تضاعفت أهميتها في نظام الطاقة العالمي، وعززت استقلاليتها في السياسات الخارجية والنفطية عن الولايات المتحدة. دفعت الحاجةُ إلى النفط الرئيسَ الأمريكي جو بايدن إلى زيارة الرياض في محاولة لتحسين العلاقات مع المملكة العربية السعودية.

مع ذلك شكّلت الحرب فرصة للدول الخليجية والدول العربية بشكل عامّ للمضيّ قُدُماً في إستراتيجية تنويع شراكاته الخارجية مع القُوى الكبرى من منظور المصالح الوطنية، إلى جانب تمسُّك الرياض بالشراكة النفطية مع موسكو، برزت الصين فاعلاً دولياً جديداً في المنطقة في محاولة منها لملء الفراغ الناجم عن تراجُع الشراكة الخليجية الأمريكية. إن انضمام ثلاث دول عربية إلى منظمة BRICS في آب/ أغسطس 2023، يعكس حقيقة هذا التوجُّه نحو عالم متعدِّد الأقطاب يبحث عن مصالحه الحيوية بعيداً عن التحالُفات الكلاسيكية[31] . استطاعت دول الخليج خلق هُوِيَّة جيوسياسية جديدة لها وتعزيز إستراتيجية التحوُّط من تراجُع الدور الأمريكي في المنطقة، فضلاً عن تحويل الحرب إلى فرصة لإعادة تشكيل الشراكة مع الولايات المتحدة على قواعد جديدة تقوم على المنافع المتبادلة[32].

بقَدْر ما منحت الحربُ دولَ الشرق الأوسط فرصة لتعزيز دورها في الجغرافيا السياسية الإقليمية والعالمية، فإنها جعلت المنطقة تواجه تحدِّيَات سياسية وأمنية واقتصادية تتركز في قدرتها على مواصلة النَّأْي بنفسها عن التنافُس العالمي المتزايد بين القُوى الكبرى، والحدّ من مخاطر تصاعُد الاضطرابات الإقليمية في ضوء تراجُع فرص إعادة إحياء الاتفاق النووي الإيراني وتزايُد التوتُّر بين إسرائيل وإيران.

(31) قمة بريكس: لماذا تطلب دول عربية الانضمام إلى المجموعة؟ بتاريخ 21 آب/ أغسطس 2023، موقع BBC، **الرابط**.

(32) محمود علوش، حرب أوكرانيا أعادت تشكيل الشرق الأوسط، مرجع سابق .

أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

\DimensionsCTR
\DimensionsCTR
\dimensionscenter
\dimensionscenter

info@dimensionscenter.net